(SUJHUS) مجلة جامعة سومر للعلوم الانسانية (ISSN: 2959-5436)
عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي الدولي الرابع للعلوم الانسانية والتربوية والنفسية الذي اقامته جامعة سومر للفترة من 7-8 نيسان 2025 /القسم الثالث, الصفحات 38-47

اشكالية مصطلح التعايش السلمي بين الرؤى الإسلامية والتوظيف المعاصر

أ.د عبد المنعم عبد الجبار علي [1]*

ا. د منتصر حسن دهيرب [2]*

[1]كلية الاداب، جامعة المثنى، العراق

[2]كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة المثنى ، العراق

الملخص

يعد مصطلح التعايش السلمي احد اهم المصطلحات التي نادت بها الامم المتحدة بوصفها حقا طبيعيا من حقوق الانسان ، لكن هذا المصطلح كان له جذورا معرفية يمكن تلمسها في التاريخ الاسلامي ، فالإسلام بوصفه دينا سماويا دعا الى التعايش السلمي من خلال تطبيقاته التي مارسها مع غير المنتمين اليه ، بل عد ذلك احد اهم اركان دعوته ، فهو مازج بين التعايش بوصفه منهجا دينيا ووصفا اجتماعيا وتطبيقا فكريا، وقد حرص النبي محمد على تركيز تطبيقاته في مجتمع المدينة بعد ان وطأة قدماه ارضها، فجعل من ذلك ركنا لبناء المجتمع الجديد القائم على اساس التعايش وليس التغالب او التغابن .

اما فكرة التعايش السلمي في العالم المعاصر فوظفت بصورة اخرى، مستندة على الضرورات السياسية وليس الاهمية الاجتماعية التي وجدت لأجلها ، فالتحولات السياسية التي شهدها العالم في القرن الماضي جعل انصار المعسكرين (الشرقي والغربي) يتسابقون نحو ابرازه وتوظيفه بما يخدم مصالحهم السياسية، ونظر لهذا المفهوم منذ اربعينيات القرن الماضي وصعودا .

الكلمات المفتاحية: التعايش السلمي، الإسلام، التوظيف المعاصر.

The problematic nature of the term "peaceful coexistence" between Islamic perspectives and contemporary applications

Professor Dr. Abdul-Moneim Abdul-Jabbar Ali [1*]

Professor Dr. Montaser Hassan Daherab [2*]

[1]College of Arts, Al-Muthanna University, Iraq

[2]College of Education for Humanities, University of Muthanna , Iraq

Abstract:

The term “peaceful coexistence” is one of the most important concepts advocated by the United Nations as a natural human right. However, this concept has epistemological roots that can be traced back to Islamic history. As a divine religion, Islam has called for peaceful coexistence through its practical applications with non-adherents, considering it one of the fundamental pillars of its message. Islam has integrated coexistence as a religious approach, a social description, and an intellectual practice. Prophet Muhammad emphasized its application in the society of Medina upon his arrival, making it a cornerstone in building a new community based on coexistence rather than conflict or exploitation .

In the modern world, the idea of peaceful coexistence has been employed differently, relying on political necessities rather than the social significance for

* **Email address: mintsr@mu.edu.iq**

which it was originally intended. The political transformations of the past century led the supporters of both blocs (Eastern and Western) to compete in highlighting and utilizing it to serve their political interests. This concept has been theorized since the 1940s and beyond

Keywords: Peaceful coexistence, Islam, contemporary employment.

المقدمة:

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على خير خلقه وسيد المرسلين محمد و آله الطاهرين، وصحبه المكرمين.

أما بعد :

عُدّ ظهور الاسلام في شبه الجزيرة العربية، خاتمة الديانات السماوية وبظهوره واجه معارضة كبيرة من جميع الديانات التي كانت متعايشة فيها قبل مجيئه، سواء كانت سماوية أم وثنية ،وتحالفت فيما بينها لشن الحرب ضدّه، بدءاً من البعثة النبوية مرورا بالهجرة الى المدينة المنورة والحروب التي رافقتها وانتهاءً بفتح مكة وتأسيس نواة الدولة الاسلامية .

فكان لزاماً على السلطة الاسلامية الناشئة منذ تأسيس نواتها الاولى في المدينة المنورة أن تتخذ سياسة مغايره للواقع السائد آنذاك في معاملة رعاياها ، وعمل رسوله الكريم(ﷺ) على ايجاد مفهوم جديد لم تعهده الجزيرة في تعاملها مع الاختلافات السائدة بين سكانها والسلطة الجديدة الا وهو مصطلح (امة) وقد انضوى تحت هذا المفهوم مصطلح التعايش السلمي، وتطلب ايجاد صيغة جديدة في التعامل والتعايش السلمي لبناء مجتمع جديد تسوده الالفة والمحبة .

فقد عمل رسول الله(ﷺ) على ايضاح هذا المفهوم منذ اليوم الاول الذي وطأة بها قدماه مهد السلطة الجديدة، واخذ يتعامل مع رعاياها ويشرّع ويسن السنن بتسديد الاهي ، وقد وظفت فكرة التعايش السلمي في العالم المعاصر بصورة اخرى ،مستندة على الضرورات السياسية وليس الاهمية الاجتماعية له ،التي ظهر من اجلها ، وقد بنيت هذه الدراسة على عدة محاور :

1- تعريف المصطلحات ، ومحاولة ايجاد حل الاشكالية الناشئة عنها .

2- والاستشهاد بالنماذج التاريخية التي حوتها مؤلفات المؤرخين المسلمين .

3- اعادة انتاج المصطلح في العالم لأغراض سياسية .

وبناءً على هذه المحاور قسم البحث الى ثلاث مباحث فكان المبحث الاول (مفهوم التعايش السلمي والاقليات في الاسلام)، وعني بتعريف المصطلحات وهي (التعايش السلمي لغة واصطلاحاً وكذلك الاقليات)، وكرس المبحث الثاني لدراسة (جذور التعايش السلمي في الاسلام) والتأسيس له و مرجعيتها الفكرية المعتمدة في الاسلام الا وهو (القرآن الكريم) وكيف تعاملت النصوص مع مفهوم التعايش السلمي ومفهوم الاقليات والرؤى الاسلامية، لتكون الاساس المستند علية في تطبيقها، اما المبحث الثالث فقد تناول بالبحث تطور مصطلح (التعايش السلمي في العالم المعاصر وتطبيقاته) وما رافقه من احداث سياسية ساهمت في ظهوره و استعماله لأغراض الحفاظ على المصالح السياسية التوازن الدولي، ومن خلال الاختلاف الظروف التي ادت الى استخدام جذور ظهور المصطلح بين استخداماته بين الرؤى الاسلامية والتوظيف المعاصر ظهرت اشكالية تحديد معنى ومفهوم المصطلح، بين بناء المجتمع والمصالح السياسة، ونتيجة التسارع السياسي في الاحداث ادى هذا بنتيجة انهيار المصطلح و التعمق في حرف مفهومه الذي اظهر استعمل من اجله في فترة الحرب الباردة وانهيار المعسكر الاشتراكي، وظهور نظرية (صدام الحضارات) وانفراد الولايات المتحدة بقيادة العالم وايجاد

اعداء جدد وهما (العالم الاسلامي ممثلا بالدين والحضارة الاسلامية و والحضارة الكونفوشية ممثلة بالصين)، ومن ثم انفراد (الحضارة المسيحية) بقيادة العالم بقيمها المسيحية والمادية ومحاولة الغاء التعايش السلمي واظهاره بنمط جديد منفرد والغاء الاخر، ثم خاتمة البحث وفيها أهم النتائج التي تم الوصول اليها، والله من وراء القصد .

المبحث الاول / مفهوم التعايش السلمي والاقليات في الاسلام :

اولاً/ مفهوم التعايش لغة: أن تعريف معنى (التعايش) هو الاساس الذي تبنى عليه هذه الدراسة فيكون المعنى لغة : مأخوذ من (العيش)، ويعرف الفراهيدي العيش:(عيش: العيش الحياة .والمعيشة : التي يعيش بها الانسان من المطعم والمشرب، والمعيشة :ضرب من العيش ،مثل الجلسة، والمشية ، وكل شيء يعاش به أو فيه فهو معاش ،النهار معاش والارض معاش للخلق يلتمسون فيها معاشهم)(1) ، وبهذا يكون مفهوم التعايش مأخوذ من معنى العيش.

ثانياً/ مفهوم التعايش اصطلاحاً: من الممكن الاعتماد في تعريفه على الدكتور عبد العزيز التويجري الذي وضع له ثلاثة مستويات ربطها في الحياة بعالمنا المعاصر وهي:

المستوى الاول : سياسي ايديولوجي، يحمل معنى الصراع أو ترويض الخلاف العقائدي، وربطه في مجريات كلامه عن مفهوم الصراع في الحرب الباردة بين المعسكرين الرأس مالي و الاشتراكي، وخلص القول في تعريف التعايش بهذا المعنى هو" فتح قنوات اتصال للتعامل الذي يقتضي ضرورات الحياة المدنية والعسكرية" .

المستوى الثاني : اقتصادي: يرمز الى علاقة التعاون بين الحكومات والشعوب قيما بينها، وله صله بالمسائل القانونية والاقتصادية والتجارية من قريب او بعيد.

المستوى الثالث: ديني، ثقافي، حضاري، وهو الاحدث ويشمل تحديداً معنى التعايش الديني أو التعايش الحضاري. والمراد به ان تلتقي إرادة اتباع الاديان السماوية والحضارية المختلفة في العمل من اجل أن الامن والسلام العالمي (2).

جذور التعايش السلمي في الاسلام :

وضع الدكتور التويجري عدّة مستويات لمفهوم التعايش بينما يرى الباحث أن المفهوم لهذه المستويات الثلاثة تخلص الى معنى واحد ولا حاجة التي تقسيمها تبعا للتطورات الانية لكافة مجريات الحياة، بل يجب العمل بها مجتمعة دون الحاجة التي تجزئتها لتلافي اخضاعها لسلطة المصالح الدولية.

ويلاحظ من خلال المستويات الثلاثة التي يقدمها التويجري أن جذور هذه المستويات متأصلة في الاسلام منذ بداياته، ومن الممكن اجراء مقاربة توضيحية لبيان هذا الرأي اعتماداً على تطور ونشأة الاسلام وسيما وان الصراع مع مشركي قريش، كان صراعا دينياً بين الوثنية والتوحيد في مرحلته الاولى، وكان هذا في العهد المكي (3) ،وهذا فيما يتضمنه المستوى الاول.

أما المستوى الثاني، الذي وضعه فما يبرهن على صحة وجوده في الاسلام بمعنى التعاون بين الحكومات والشعوب فقد ظهر واضحا في قيام رسول الله (ﷺ) (بإصدار الموادعة بين المسلمين وغيرهم من سكان المدينة) المدينة التي ذكرها أبن هشام تحت عنوان(هذا كتاب من محمد النبي(ﷺ) ،بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم)(4) ، وهذه الموادعة تعني أن المدينة المنورة أصبحت فيها سلطة تحكم و يدير شؤونها وتسعى لتنظيم العلاقة بين السلطة، ممثلة بشخص الرسول (ﷺ) والشعب وهم الرعية ممثلين بسكان المدينة أجمعهم على اختلاف تنوعهم الديني وعلاقاتهم الاجتماعية، وهذا المرحلة الثانية من التعايش السلمي في ظل تحول الاسلام من مكة الى المدينة أي ان الاسلام اصبح سلطة تمتلك التشريع والدمج بين التعايش المجتمعي بين مختلف اعراق المجتمع.

وكذلك المستوى الثالث، الذي ذكره ديني وحضاري وثقافي فما يبرهن على صحة وجوده في الاسلام ما انزل من القرآن الكريم في بدايات الدعوة في مكة بقوله تعالى:(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6))(5)، واستناداً على الفيض

الكاشاني الذي يذكر أن قريش طلبت من النبي (ﷺ) بقولهم:(ان تعبد آلهتنا سنة، نعبد إلهك سنة)(6) ، وبهذا تكون قريش قدّمت صيغة للتعايش السلمي بينها وبين المسلمين بكافه نواحي الحياة، لكن رسول (ﷺ) بأمر من الله رفضها وقدم صيغة بدليلة تمثلت في سورة الكافرون، بأن قدّم الحل البديل لصيغتهم ،ان تكون هنالك حرّية في العبادة وكلّ وله دينه دون المساس بالأخر.

ومن الملاحظ ان الاستاذ التويجري أهمل (الجانب الفكري) في التعايش السلمي وهو الجوهر لمفهومه الحضاري ،وهذه المرحلة الثالثة من التعايش السلمي والتي تعد قيمة كبيرة في ارساء مفهومه، وتحققت في الإسلام في خلافة امير المؤمنين على بن أبي طالب(عليه السلام) بالعودة الى المفهوم في سورة الكافرون أنها عرضت حرية العبادة في جانبها الفكري ألذي هو الاساس الذي يبنى عليه الجانب الحضاري للتعايش السلمي والشامل لمفهومه الواسع .

واشار إليها الاستاذ نبيل الربيعي في حادثة وقعت في خلافة امير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) في القرن الاول الهجري ،أن اليهود في العراق كان لهم جامعتين عبريتين أثناء الفتح الاسلامي للعراق وخرج اساتذة هاتين الجامعتين لملاقاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) عند توجه إلى العراق وقطع لهم وعهداً بما يكفل لهم حرية العقيدة وحسن المعاملة(7)، ومن خلال عهد امير المؤمنين أعادنا إلى الثابت الاول في بدايات الدعوة الاسلامية و في اشد اوقاتها حرجاً من خلال صراعها مع قريش أن حرية الفكر و العقيدة ثابت اساسي في التعايش المجتمعي وحافظ عليه الاسلام في جميع اوقاته سواء كان الضعف او القوة ،فهو مفهوم ثابت لا يتغير من مفاهيم العقيدة .

ويرى الباحث أن الرؤية الاسلامية التي تشتمل على مفهوم التعايش المجتمعي فقد ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم بقوله:(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)(8) ، ويكون المعنى للتعايش المجتمعي في الاسلام(التعاون) ، وتكون آليات تحقيقه هما (البر والتقوى) في بناء المجتمع، وبهذا يكون مصطلح (التعايش المجتمعي) يقابل في المعنى (التعايش السلمي) وهذا نجده في حقائق التعامل من خلال القول المجتمع عند إطلاقه مجتمع معين كأن نقول المجتمع (المجتمع العراق) او في العلاقات الدولية بالقول(المجتمع الدولي)، وبهذه الآية القرآنية الكريمة يكون الاسلام أوجد معنى المصطلح والمقابلة له في المعنى قبل ظهوره الحديث، أما ظهوره الحديث فكان مبني على الجانبي السياسي فيكون مبني على المصالح السياسية والعلاقات الدولية المجردة والخالية من مفهوم الاقليات (9).

ثالثاً/ مفهوم الاقليات، لغة واصلاحاً :

الاقليات لغة: مشتقة من لفظة القليل ،وأن القلة تقتضي نقصان العدد(10)، ومن هذا المعنى اللغوي يتضح المعنى الاصطلاحي: فأن معنى الاقليات هم العدد القليل من البشر الذي يعيشون وسط الاكثرية التي يختلفون عنهم في جوانب محدد لذا تطلق عليهم لفظة الاقليات لتميزهم<

جذور مفهوم الاقليات في الاسلام :

ولابدَّ من الإشارة إلى مسألة مهمة جداً أن القرآن الكريم أوضح مفهوم مصطلح الاقليات، وفرّق بينهم كلاً ونمط انتمائه الحضاري وتمثل هذا بقوله تعالى :(إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)(11) ، ويتضح أنه تم التعامل مع هذه الاصناف المشار إليها في الآية الكريمة على أنها أقليات في الدولة الاسلامية، و بتأثير هذا التصنيف القرآني، وهذا الجانب الاول في هذه المسألة، ومن الجانب الثاني فيها، أن الفقهاء المسلمون أشاروا لتلك الاقليات بمصطلح أخر اعتمدوا فيه على السنة النبوية بقول رسول الله (ﷺ):(المسلمون يد على من سواهم يسعى بذمتهم أدناهم)(14) ، في هذا يقول ابن زكريا :الذمة العهد، وأهل الذمة أهل العهد (15)، مع الاخذ بالعلم أن القرآن الكريم لم يشر إلى تلك الاقليات بمصطلح أهل الذمة الذي أعتمده الفقهاء ولو لمرة واحده فقط، فقد اعتمده الفقهاء وأطلقوه على الاصناف التي اشارت اليها الآية الكريمة جميعهم .

المبحث الثاني / اسس التعايش السلمي التي ارساها رسول الله (ﷺ) في الاسلام و التعامل مع الاقليات :

بعد الهجرة النبوية المباركة إلى المدينة المنورة ،وتأسيس السلطة التي مثلت نواة الدولة الاسلامية فيما بعد، فكان لابد لرسول الله(ﷺ) من بيان الحقوق والواجبات بين أبناء المدينة من المسلمين والمتعايشين معهم من الاقليات الاخرى فيها فكان اقراره صحيفة المدينة والتي ذكرها أبن هشام تحت عنوان(كتابه بين المهاجرين والانصار وموادعة يهود)، ويمكن أجمال أهم بنود كتاب الموادعة فيما يأتي:

اولاً/ بين رسول الله(ﷺ) مفهوم الامة؟ وماذا يعنيه بها بقوله:(هذا كتاب من محمد النبي (ﷺ)،بين المؤمنين والمسلمين ومن قريش ويثرب ومن تبعهم، فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس،...)(14) ، فقد بين النبي الكريم (ﷺ) مفهوم الامة انها تتكون من المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن لحق بهم، وربّما يكون المقصود بمن لحق بهم هم بقية سكان المدينة الذين لم يدخلوا الاسلام وهذا من جانب، أما الجانب الاخر وهو على قدر كبير من الاهمية نعت سكان المدينة من غير المسلمين وهم على ديانة توحيدية اخرى كاليهود بالمسلمين، ولم بنعتهم بألفاظ تقلل من شأنهم مثل الكفار، وميزهم عن المؤمنين بنوبته واسماهم المؤمنين، وهذا يعطي فكرة تقبلهم .

ثانياً/ يشدد الرسول الكريم(ﷺ) في ارساء اسس التعايش المجتمعي مع الاخر من سكنة المدية وهم الكافرين الذين لم يدخلوا الاسلام يتضح بقوله: (لا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن وان ذمة الله واحدة، وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والاسوة غير مظلومين و لا متناصرين عليهم، وإن سلم المؤمنين واحدة)(15).

يتضح من نص الكتاب (الموادعة) أن رسول الله(ﷺ) تشدد في تطبيق العدالة بين سكان المدينة من المسلمين وغير المسلمين، وأكد على عدم التفريق بيهم في مسألة القصاص الا وهي جريمة القتل ، أن ذمة الله تطبق على الجميع المؤمن وغير المؤمن وهذا ينطبق على الذين لم يدخلوا إلى الاسلام، أما اليهود فهم الاقلية الثانية بعد الكفار الذين ذكرتهم الموادعة ،فأن الرسول(ﷺ) تعهد بالنصرة لهم والمساواة في المعاملة والعدالة لهم فيها ولا يظلمون بشيء، بل وصفهم كما وصف المسلمين بالمؤمنين لكونهم أصحاب دين سماوي، ولم يميز بينهم في التوصيف.

ثالثاً/ أكد الرسول الكريم(ﷺ) على تمسكه في النظر إلى الاقلية اليهودية على أنها جزء من الامة، في الحقوق والواجبات، وذكر أبن هشام هذا المعنى الوارد في نص كتاب المودعة :(...، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، أمه مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه ،وأهل بيته)(16)، في هذه الفقرة من نص الموادعة اظهر الرسول الكريم، تسامحا كبيرا مع الديانة اليهودية وعدّها جزءاً من الامة على اختلاف مللها الاخرى، التي تسكن المدينة، دون تميز بينهم وبين المسلمين .

وهذا جانب اظهرته الموادعة في المدينة من التعايش المجتمعي الذي ابداه الاسلام مع الديانات الاخرة المتعايشة والمتجاورة معه في سكن المدينة المنورة، وقدّم الاسلام ممثلاً بشخص الرسول الكريم(ﷺ) اسمى نماذج التسامح والتعايش مع الاخر.

ومن الدلائل التي تؤكد على التعايش المجتمعي في الاسلام وتبين حقيقة تسامحه مع الاخر ، ما جرى يوم فتح مكة من عفو وتسامح كبير من الله ورسوله (ﷺ) مع مشركي قريش وكافة سكان مكة، بتأمين رسول(ﷺ) كلّ من دخل داره أو المسجد أو دار أبي سفيان (17) .

أما المثل الاخر الذي يقدّمه الرسول الكريم (ﷺ) في تقبل الاخرين والتعايش السلمي معهم وليس هذا فحسب، بل اقرَّ لهم بحقوقهم كأقلية لها كيانها و وجودها، وتعامل معهم بالأسلوب الامثل، فهي حادثة المباهلة التي تعطي مثالا واضحا في

التعامل مع الاقليات والتعايش السلمي معها، واعتمادا على الشيخ المفيد الذي أشار إلى ما مفاده: ولما انتشر الاسلام بعد فتح مكة، وفي سلطان الاسلام، وفد إلى النبي(ﷺ) الوفود منهم من أسلم ومنهم استأمن ليعود إلى قومه ، كان في من وفد عليه أبو حارثة أسقف نجران في ثلاثين رجلاً من النصارى، فقدموا المدينة وقت صلاة العصر، فصار إليهم اليهود وتساءلوا بينهم فقالت لهم النصارى: لستم على شيء، وردتهم اليهود بقولهم: لستم على شيء فلما صلى النبي (ﷺ) العصر توجهوا إليه يتقدمهم الاسقف فقال له: يا محمد ما تقول في السيد المسيح؟ فقال النبي (ﷺ): عبد الله اصطفاه وانتجبه، فقال الاسقف: أتعرف له يا محمد أبا ولده، فقال النبي(ﷺ): لم يكن عن نكاح فيكون له والد، قال الاسقف: كيف قلت إنه عبد مخلوق وأنت لم ترى عبداً مخلوقاً الا عن نكاح وله والد؟

فأنزل الله تعلى قوله : (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَا ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ(59) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلاَ تَكُنْ مِنْ الْمُمْتَرِينَ(60) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ(61))(18)، فتلاها النبي (ﷺ) على النصارى ودعاهم للمباهلة وقال: إن الله -عزَّ أسمة- أخبرني أن العذاب ينزل على المبطل عقب المباهلة ويبين الحق من الباطل بذلك، فاجتمع الاسقف مع جماعته فاتفق رأيهم على استنظار إلى صبيحة غد من يومهم ذلك، فلما رجعوا إلى رحالهم قال لهم الاسقف: أنظروا محمداً في غد فإن غدا بولده وأهله فاحذروا مباهلته، وأن غدا بأصحابه فأنه على غير شيء(19).

وبالاعتماد على الشيخ المفيد في روايته لحادثة المباهلة فأنه يحدد زمن وقوعها بعد فتح مكة وهذا يعني أن الرسول الكريم(ﷺ) قد أصبح يمتلك سلطة كاملة في شبه الجزيرة العربية، ويمتلك القوة العسكرية والسياسية والدينية فيها دون منازع ، لكنه ناظر نصارى نجران وتقبلهم وتعامل معهم سلميا واحترمهم حقوقهم الدينة والاجتماعية والسياسية كأقلية لها وجودها وكيانها ولم يمسهم بسوء وتركهم يعبرون عن أفكارهم كما يشاءون.

ويذكر ابو يوسف معاملة رسول(ﷺ) لنصارى نجران والعهد الذي بينه وبينهم ، وهو مثال للتعايش السلمي واحترام حقوق الاقليات ونورد أهم ما جاء في نصه:(...، ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم وانفسهم وارضيهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير ، ولا يغير أسقف ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته وليس عليه دية ولا دم جاهلية ولا يخسرون ولا يعسرون ولا يطأ أرضهم جيش . ومن سأل منهم حقاً فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين .ومن أكل الربا من ذي قبل فذمتي منه بريئة .ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر، وعلى ما في هذا الكتاب جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله أبداً حتى يأتي الله بأمره ما نصحوا وأصلحوا ما عليهم غير متفلتين بظلم)(20) .

ويشير يحيى بن أدم إلى عدّة حوادث تبين معاملة رسول الله(ﷺ) للأقليات من أهل الكتاب ، ذكر منها أن رسول الله بعث معاذ بن جبل لجباية وأوصاه بأن لا يفتن يهودياً عن يهوديته(21)، ويتبين من وصية رسول الله (ﷺ) له أنها تمثل احترام حقوق الاقليات الدينة ومراعاتاً لهم .

ولابدَّ من التأكيد أن التعايش السلمي مع الاقليات، لا يمكن تحقيقه دون توفر عامل اساسي وجوهري يقنع الرّعية من الاقليات بالتزام السلوك الحسن تجاه السلطة ويرغبها به، الا وهو (العدالة) في المعاملة اتجاههم، ونجد ذلك متمثلاً في فعل وسلوك رسول الله (ﷺ).

وأورد أبن يحيى بن أدم ما نصه:(أن رجلاً من المسلمين قتل رجلاً من أهل الكتاب، فرفع إلى النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: أنا أحق من وفى بذمته ثم أمر به فقتل)(22) ، يتضح من النص عدالة رسول الله (ﷺ) في معاملة رعاياه دون التفريق بينهم سواء كان مسلم أو من أهل الكتاب وهم أقلية في المجتمع الاسلامي، وبين الرسول الكريم (ﷺ) أن العدالة تشريع سماوي بين الرعية على اختلاف مللهم و وجب على من يتولى أمرهم العمل بها.

وفي مفهوم العدالة مع الاقليات والتعايش المجتمعي معها يذكر الشيخ الصدوق قول الامام الصادق(عليه السلام) عن رسول الله(ﷺ) أنه قال:(من أعطاه رسول الله صلى الله عليه و آله ذمة فديته كاملة)(23)، ونقل هذا الحديث عن الامام الصادق(عليه السلام) عن رسول(ﷺ) فيه تأكيد وتشديد على تطبيق العدالة مع الاقليات واحترام حقوقهم لضمان التعايش المجتمعي معهم.

مبادى التعايش المجتمعي في الاسلام :

1- حرية المعتقد وقد بينه الاسلام في بدايات الدعوة الى الاسلام من خلال تعامل الرسول مع مشركي قريش بسورة الكافرون، وتبين واضحاً في خلافة امير المؤمنين على بن أبي طالب عندما كانت الدولة في حالة قوتها بأن سمح لليهود بحرية المعتقد .

2- المساواة في الحقوق والواجبات ،وهذا يتضح من خلال الموادعة التي كتبها رسول الله(ﷺ) مع سكان المدينة المنورة على اختلاف عقائدهم .

3- العدل وقد بينة رسول الله (ﷺ) في صحيفة الموادعة مع جميع سكان المدينة وقد بينه رسول (ﷺ) من خلال اقتصاصه من المسلم المسيء وقد بين من خلال البحث اعلاه (24).

المبحث الثالث / تطور مصطلح (التعايش السلمي) في العالم المعاصر وتطبيقاته :

اولا/ جذور مصطلح (التعايش السلمي):

ظهرت جذور مفهوم التعايش السلمي في العالم المعاصر في قارة اسيا وتحديداً في الصين الشعبية بعد قيام الدولة الشيوعية عام 1949 ، وكانت بدايات ظهوره من خلال البرنامج المشترك الذي اقره المؤتمر السياسي الاستشاري الشعبي، قبل قيام الجمهورية الشعبية الصينية (بتاريخ تشرين الاول 1949)، اذ استعمل الشيوعيون الصينيون عبارات عامة تشيد بـ (المساواة)، و(المنفعة المتبادلة)، و(الاحترام المتبادل) و(المراعات المتبادلة للسلامة الاقليمية والسيادة الوطنية) و(السلام العالمي والتعاون الصداقي) و(مقاومة العدوان والحرب) وعلى ذلك بنيت هذه سياسة الصين الخارجية ، وكانت تشير الى اتجاه الصين الاساسي نحو المعسكر الاشتراكي والذي يتزعمه (الاتحاد السوفيتي السابق)(25) ، وهذه العبارات التي استخدمتها الصين تشير الى مفهوم التعايش السلمي في العالم المعاصر أنذاك .

ثانياً / ظهور المصطلح (التعايش السلمي) :

ظهر مصطلح (التعايش السلمي) في الاستعمال أول مرة عام 1951 ، عندما قالت السيدة (صن يان صن) : " أن التعايش السلمي يمكن تنفيذه بنجاح بين أنظمة اجتماعية و اقتصادية مختلفة، وذلك لأنه مبدأ (تمثيل ارادة معظم ابناء الجنس

البشري)" (26)، ومن خلال العبارات التي اطلقها البرنامج المشترك الذي اقره المؤتمر السياسي الاستشاري الشعبي وترجمتها السيدة (صن يان صن) الى مفهوم (التعايش السلمي).

ثالثاً/ استخدام المصطلح في السياسة الدولية وتطبيقاته :

وكان اول من اطلقه (مصطلح التعايش) السلمي بقوة في المنابر الدولية الزعيم (نيكيتا خروشوف) وكان من خلال المصطلح يحاول شرح سياسة الاتحاد السوفيتي السابق ومتبنياته السياسية والتي يمكن ايضاحها على النحو التالي :

1- فالتعايش السلمي بالنسبة للاتحاد السوفيتي لا يعني تراجع الاتحاد السوفيتي عن تحقيق اهدافه المعلنة ،أنما يعني تحقيق تلك الاهداف بطريقة تنسجم مع مقتضيات المتغيرات التي تطرأ على السياسة الدولية .

2- كان الهدف من رفع شعار (التعايش السلمي) اللجوء الى خلق حالة من التوازن بين القوتين العظمتين بعد امتلاكهما السلاح النووي .

3- رفع الشعار لأدارت الصراع بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة، وعده السوفيت شكل من اشكال الصراع الطبقي بين الاشتراكية والرأسمالية .

4- أن (مصطلح التعايش السلمي) الذي استخدمه الرئيس السوفيتي السابق (نيكيتا خروشوف) لم يكن سوى تعديل على السياسات السابقة التي كانت تعتقد ان بأمكان السوفيت تحقيق اهدافهم من خلال الحرب والقوة، ولكن برفع هذا الشعار اجري تعديل لتحقيق الاهداف الشيوعية سلمياً، والغاء مبدأ (حتمية الحرب) وهو ما يعتقد به الشيوعيون الصينيون .

5- أن مفهوم (التعايش السلمي) مسألة ضرورية بين الدول الكبرى وسيما بعد امتلاكها السلاح النووي، لبقاء الجنس البشري .

6- اوجد استعمال مصطلح (التعايش السلمي) حالة من الوفاق المؤقت في اقتسام المصالح ومناطق النفوذ (27).

رابعا/ شروط التعايش السلمي :

وضعت شروط للتعايش السلمي، ولكنها لم تكن تشمل كل دول العالم أنما وضعت للدولتين اللتان تتزعمان العالم (الاتحاد السوفيتي السابق)، (والولايات المتحدة الامريكية) وكل له فريق يقف خلفه من المعسكر الاشتراكي و المعسكر الرأسمالي وهذه القواعد هي :

1- يتوجب على كل طرف من القوتين العظميتين، عدم وضع العراقيل بوجه الطرف الاخر .

2- بوجود الاسلحة النووية فأن تحركيها يهدد الامن والسلم العلميين حتى لو كان تحريكها داخل البلد الواحد لكونه يهدد دول الجوار والقدر على التدمير لاي دولة مجاورة ، وجب على الدولة التي تفكر في امنها ان تفكر في امن الدول المجاورة الاخرى .

3- ضرورة التعاون والتعايش في بطرق واساليب متعدد رغم اختلاف الانظمة ، وينظر كل طرف الى الطرف الاخر كشريك، عوضاً ان تكون حالة من التزاحم ف المصالح .

4- تقبل وجهة نظر الاخر السياسية، وعدم النظر له كعدو .

5- ايقاف التسلح العسكري النووي، وعقد اتفاقات تؤكد على ذلك .

6- ايقاف مفهوم المصلحة الفكرية في استغلال النزاعات والخلافات، فكل طرف يجدها مهمة في نشر افكاره (28) .

ويتضح من الشروط التي تقدم للتعايش السلمي في ظل قوتين تقودان العالم، انه بانهيار هذه الشروط وعدم تحققها، ينهار التعايش السلمي، وهذا ما حث فعلا بانفراد الولايات المتحدة بقيادة العالم ، وظهرت بعد ذلك (نظرية صدام الحضارات) في الولايات المتحدة التي تزعمت الحضارة الغربية ، و كشفت فيه منظومتها الفكرية القائمة على مفهوم (الحضارة المسيحية) والقيمية التي تتبنى (العامل المادي) المجرد لإدارة شؤون الحياة، وكذلك كشفت عن مخاوفها من العالم الاسلامي، وما اصطلح عليه (الفكر الكونفوشيوسي الصيني) في اشارة للقوة الصينية الناشئة ،

ونتيجة لما يتمتعان به من قوة الحضارة والتأثير، وهو يرى حتمية الصراع مع الحضارة الغربية، ويطلق عليها ما يسمى (خطوط الصدع)، وبهذا الانفراد للولايات المتحدة و مرجعيتها الفكرية ومنظومتها القيمية في العالم الغربي القائمة على الرأسمالية سيؤدي الى صدام وبالتالي ينهار التعايش السلمي وتعمم الحضارة الغربية على العالم، القائم اساساً على الجانب المادي وخلوها من الجانب الروحي والاخلاقي، وتلغى الحضارات الاخرى وخصوصياتها(29) .

الخاتمة :

بعد اتمام هذا البحث فقد تم التوصل الى نتائج وتبرز في أهم النقاط التالية :

1- تم تعريف التعايش السلمي، من العيش وسماته في المأكل والملبس وسمات الحياة الاخرى في التعريف اللغوي، وما ان تحول الى مصطلح (التعايش السلمي) فقد حاول الاستاذ التويجري تقسميه الى عدة مستويات تبعاً لتطورات العالم المعاصر(سياسي(ايديولوجي) و اقتصادي، وديني وحضاري) وحاول اسقاطه على العالم الاسلامي.

2- تناسى الاستاذ التويجري الخلفية الاسلامية للمصطلح في بدايات الدعوة الاسلامية عندما أنزل الله تعالى سورة الكافرون على لسان الرسول الاكرم محمد (ﷺ) والتي حددت حرية العقيدة في بداية الدعوة ورفض صيغة الاجبار التي حاول مشركي قريش فرضها في بدايات الدعوة والاسلام مضطهد وضعيف، وتم العمل في هذه الصيغة وتطبيقها في التعايش السلمي في عهد رسول الله (ﷺ) في المدينة المنورة وبينا أهم تطبيقاتها معتمدين على الحوادث التاريخية كصحيفة الموادعة التي أمر بها رسول الله (ﷺ) للتعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم من المؤمنين ، وكذلك حادثة نصارى نجران والمباهلة واحترام حقوق الاخر وكذلك يوم فتح مكة و العفو الذي امر به رسول الله (ﷺ) تجاه مشركي قريش.

3- وفي خلافة على بن أبي طالب(عليه السلام) امير المؤمنين اعيد نفس الشيء والعمل بنفس الثوابت مع الاقليات التي كانت متعايشة مع الامة الاسلامية عندما قدم طائفة من اساتذة اليهود لملاقات الخليفة امير المؤمنين علي(عليه السلام) يرجون منه السماح لهم بتدريس عقائدهم في العراق بعد الفتح الاسلامي فوافق لهم على ذلك .

4- وضع الاسلام قواعد اساسية للتعايش السلمي وكانت مرجعيتها الفكرية القرآن الكريم وهي: (حرية العقيدة والعدل والمساوات)

5- وضع الاسلام آليات لتطبيق التعايش السلمي ممثله بقوله تعالى :(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) وكانت اليات تطبيقها في المجتمع مع جميع ابنائه (البر والتقى) على اختلاف انتمائهم الديني والعرقي .

6- كان من نتائج هذه الآية الكريمة انها انزلت على رسول الله (ﷺ) في المدينة المنورة وطبقت على مجتمعها، واستنادا عليها من الممكن استبدال مصطلح (التعايش السلمي) المستعمل حاليا لأغراض بالدرجة الاولى سياسية وكان هذا سبب ظهوره الى مصطلح (التعايش المجتمعي) لكونه طبق لأسباب بناء المجتمع وهو الاقدم في مفهوم الظهور.

7- ظهر مصطلح التعايش السلمي لأغراض سياسية وكان ظهوره في الصين عام 1951م في القرن الماضي وكان اول من استعمله السيدة (صن يان صن) ، واعاد استخدامه وبقوة الرئيس السوفيتي السابق (نيكاتا خروشوف) وكان يرمي من خلال استعماله الى تحقيق أهداف الاتحاد السوفيتي السابق والذي يعني بمفهومه ان استخدام المصطلح لا يعني تراجعها عن تحقيق اهدافها المعلة في الصراع ضد الرأس مالية في الحرب البارده ، انما المصطلح هي احد الصيغ لتحقيقها و وضع لذلك عدة متبنيات اشير اليها في البحث .

8- ومن خلال تطور مفهوم (التعايش السلمي) وفي ظل الحرب الباردة بين المعسكرين الاشتراكي والرأس مالي وضعت شروط للتعايش السلمي اشير اليها في البحث اعلاه ولكنها انهارت، وانهار معها التعايش السلمي بالمفهوم السياسي بين المعسكرين الراس مالي المنتصر والمعسكر الشيوعي المهزوم .

9- وعلى اثر انهيار مفهوم التعايش السلمي بين القوتين الرأس مالية والشيوعية ، ظهر مفهوم جديد و هو (نظرية صدام الحضارات) التي بدورها انهت تماما مفهوم التعايش السلمي، وعدت الى تطبيق الحضارة (المسيحية) وقيمها المادية ، و اوجد لها عدو جديد ممثل بالأمة الاسلامية والدين والحضارة الاسلامية ، والحضارة (الكونفوشيوسية) ممثلة بالصين، لكونها تخشى من قوة تأثرهما الحضاري .

10- اتسم مصطلح (التعايش السلمي) بالتحول وعدم الثبات تبعا للظروف والمتغيرات السياسية ،والذي ندعو الى استبداله (بالتعايش المجتمعي) وتعميم الاستعمال في الادبيات العربية والاسلامية، في حين أن مصطلح (التعايش المجتمعي) الذي ندعوا الى اشاعة استخدامه تمتاز بالثبات لكون مرجعيته الفكرية ثابتة ومستندة إلى القرآن الكريم ، والقرآن الكريم ثابت ولا يتغير لكونه كلام الخالق عز وجل .

الهوامش :

(1) الفراهيدي، كتاب العين،189/1؛ وللاستزادة في تفاصيل المعنى اللغوي ينظر الجوهري، الصحاح،1013/3-1013.

(2) الاسلام والتعايش بين الاديان في افق القرآن، منشورات المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة – ايسيسكو،ط2، 2015م،212-13؛ للاستزادة في تفاصيل التعايش السلمي ينظر: منتصر حسن دهيرب، التعايش الديني في العراق دراسة في احوال المجتمع العراقي من خلال كتب الرحالة .

(3) للاستزادة، في تفاصيل هذه المقاربة، ينظر: ابن اسحاق، السيرة النبوية ،187/1-198.

(4)السيرة النبوية،90/2.

(5) الكافرون / 1-5.

(6) التفسير الاصفى،1486/2.

(7) تاريخ يهود العراق(859 ق.م _ 1973م) ، 69 - 70 .

(8) المائدة / 2.

(9) للتأكد من زمن ظهور المصطلح المعاصر، ينظر: كارل ريمن وشان يووري، التعايش السلمي من خلال العلاقات الصينية اليوغسلافية، ص9.

(10) ابو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص434.

(11)البقرة/62 .

(12)احمد بن حنبل، مسند احمد،211/2.

(13) معجم مقايس اللغة ، 1/ 354 .

(14)ابن هشام، السيرة النبوية، 90/2-91.

(15)المصدر نفسة، 91/2.

(16) المصدر نفسة، 92/2.

(17)ابن عبد البرد ،الدرر في اختصار المغازي والسير ، ص217.

(18) ال عمران/ 59-60.

(19) للاستزادة في تفاصيل المباهلة، ينظر: الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، ص126-128.

(20-)الخراج ،ص78.

(21) الخراج، ص108..

(22) المصدر نفسة، ص110 .

(23) من لا يحضره الفقيه، 4/ 123.

(24) للاستزادة في تفاصيل مبادئ التعايش السلمي في الاسلام، ينظر :عبد العظيم ابراهيم المعطي، مبادئ التعايش السلمي في الاسلام منهجاً وسيرة ، اقتباس فكرة، ص 50-85.

(25) كارل ريمن وشان يووري ، المرجع السابق، ص 8 .

(26) المرجع نفسة ، ص9.

(27) عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية ، 765/1-766.

(28) للاستزادة في تفاصيل شروط التعايش السلمي ، اقتباس فكرة ، ينظر: جون كنيت غالبريت وستانسلاف مينشيكوف، ترجمة هشام متولى ، ص211-232.

(29)للاستزادة في تفاصيل نظرية صدام الحضارات والبعد الحضاري لها و انهيار مفهوم التعايش السلمي ، واقتباسا افكار من الكتاب ، ينظر الكتاب كامل، احمد اسماعيل احمد ابو شنب، نظرية صدام الحضارات لصموئيل هنتنجتون رؤية نقدية خطوة على طريق التعايش السلمي والتفاعل الحضاري.